ورقـــة من السماء

للقصصى الدانمركى اندرسون

بقلم الأديب كمال الحريرى

هناك فى عليا السموات ، بين طبقات شمشاعة شفافة من الهواء النقى البلورى رفّ جناح ملاك سماوى فوق روضة أنف من رياض الجنة حاملاً معه من بين أزاهيرها الفيح المؤرّجة زهرة عبقة ، وبينما كان يطبع عليها قبلة من قبله الملائكية ، سقطت منها ورقة فوقعت فى غابة ملتفة الشجر مختلفة جنس النبات . وما كادت تستقر هذه النبتة السماوية على التراب الأرضى حتى امتد لها جذر ونمت وربت بين طائفة من أشجار الغابة . . ولكن أشجار الغابة وأدواحها وحتى شجيراتها الحقيرة لم تشأ أن تعترف بها أو تقر أنها من جنس النبات، فقال العلّيق : أى نبتة غريبة شاذة هذه؟ وسخر العوسج منها فقال :

— إلى أى فصيلة نبات تنتمى ومن أين خلصت إلى غابنا ؟ فردد العليق فى تعال وازدراء :

— ما هى إلا بذرة حقيرة لحساء أو حبة من جنس الفول والعدس ... وإلا فما هذه السرعة فى النماء ؟ هل سمعت إحداكن أو رأت يا أشجار الغابة ودوحاتها نبتة تنمو بهذه السرعة ؟ ثم ما هذه الوقاحة والفظاظة أتظن أننا موجودات هنا فى الغابة لا لشىء إلا كى نسندها كلما عطفتها الريح أو مالت بقدها الأهيف ؟

وأقبل الشتاء ، وغطى الثلج بساط الأرض ، فإذا النبتة السماوية تشع على الثلج الوهاج شعاعاً سحرياً غريباً ، كأنها حزمة متوهجة متموجة من أشعة شمس الغروب المختلفة الألوان تغتسل وتستحم فى حوض هـذا الثلج ... وفى الربيع تفتحت أكمام هذه الشجرة السماوية عن زهرة بديعة حسناء لم تقع على مثلها عين بشرية فى روعتها وفتنتها وائتلافها ...

ونُمى الخبر إلى أستاذ النباتات الأشهر فى تلك البلاد ، فهرع إليها مجهزاً « بدبلومه » وشهاداته وخبرته المستفيضة ومعرفته الواسعة فى علم النباتات، لاحظ أولاً النبتة السماوية وتأملها، ثم حللها واختبرها فى مخبره ... حتى لقد تذوق أوراقها وتشمم زهراتها ، ولكنها لا تشبه أبداً شيئاً مما عرف أو درس من جنس النبات وفصائله . وانتهى به البحث والفحص إلى أن قال : إنها نبتة هجينة مولدة من عدة فصائل نباتية لا تدخل فى زمرة النبات الموجود على أرضنا وما أظنها إلا غولاً نباتياً لم تألفه أرضنا . وسمعت شجيرات العليق والعوسج بكلام أستاذ النبات فرددت معه :

— إنها غول نبات لم يألفه غابنا . أما أدواح الغابة الباسقة وسرحاتها الظليلة فقد لزمت جانب الصمت ولم تقل فى حقها خيراً أو شراً ، والصمت أحجى بالصامت وأحزم حين يكون غبياً جهولاً .

أقبلت إلى الغابة ذات يوم فتاة صغيرة فقيرة ، هى الطهارة والنقاء مجسمان ، والذكاء المنار بضوء الإيمان .

لم تكن تملك من متاع الدنيا إلا إنجيلاً عتيقاً

باليأ كانت صورة الإله تتراءى لها من بين صفحاته ، وصوته القدسي يرن في قلبها من خلال مزاميره وآياته . ففيه قرأت كثيراً عن خبث الرجال وسوء نفوسهم ، ولكنها تعلمت من الإنجيل أيضاً أنهم حين يسومونا سوء العذاب ، وقسوة الظلم ، ولذع السخرية ، ونكران الفضل ، فليكن مما نتحمل به رهق عذابهم أن نقول كما قال المنقذ الأعظم حين كانت تسفع جلده سياط ظالميه : « اللهم اغفر لهم سيئاتهم ، فإنهم قوم لا يعلمون » .

وقفت الفتاة لحظة أمام النبتة المعجزة العجيبة.

وكان عبقها يؤرّج الجو بشذى عطر الجنان ، وتموّج أصباغ أزهارها يبرق ويلتمع أمام أشعة الشمس كحزمة مختلفة الألوان من أسهم نارية في ليلة داجية ظلماء ، ولمر النسيم حين كان يداعب أوراقها البهيجة وسوسة موسيقية سماوية ، وأنغام شجية علوية .. وأخذت الفتاة بروعة هذه الشجرة وشدهت لفتنتها وسحرها ؛ فانحنت عليها تتأملها ، وتستجلي منظرها عن قرب ، ثم طفقت تتنسم أريجها العطري وشذاها السحري ... فشعرت بفيض من القوة الخارقة يتدفق إلى قلبها ، وشعاع وهاج من الحكمة يشرق في ذهنها ونفسها ... وملكتها رغبة شديدة في قطف زهرة من أزاهرها، ولكنها فكرت في أن ذلك سيؤذي النبتة اللطيفة ، وأن الزهرة المقطوفة سيملوها ولا شك ذبول قريب ... فلم تقطف منها إلا وريقة من وريقاتها الخضر غيبتها بين صفحات إنجيلها حيث ظلت هناك خضرة طرية !

بعد أسابيع نُقل إنجيل الفتاة التقية وضمنه الورقة السماوية إلى نعش الصبية (فقد ماتت) . وفي ذلك النعش توسدت الفتاة ذلك الإنجيل توسدة أبدية هادئة تتعاكس على وجهها المشرق البديع سعادة المفلت من إسار هذه الأرض المتعبة الغرور ، وهناءة من دعاه ربه إلى حضرته ...

في خلال ذلك كانت النبتة السماوية تربو وتنمو وتزهر وتتفتح ليس كمثل ربائها وتفتحها شجرة على الأرض . وكانت العصافير والطيور العابرة عليها والمحلقة فوقها حين تمر تنحني وتخشع أمامها احتراماً وهيبة . فكان الغليق والموسج لا يفتئان يدمدمان في غيظ وحسد وسخرية :

آه لو تعلم هذه الطيور الحمقاء لمن تتبرع بهذا الاحترام والإجلال ؟! . ثم تبصق هذه الشجيرات الكريهة البشعة في احتقار أمام النبتة السماوية

ويمر راع للخنازير بهذه الغابة محتطباً . فيعمل فأسه قصفاً وتقطيعاً لشجر الموسج والغليق ... وأيضاً للنبتة الفيحاء الحسناء المعجبة «زهرة السماء» ثم يقول لنفسه بعد الفراغ من الاحتطاب :

كم ستكون هذه الأحطاب صالحة لشيّ خنزير حنيذ من خنازيري !

وكان ملك هذه البلاد يشكو منذ زمن بعيد غمّاً وضيقاً في الصدر ران على نفسه واستعصى طبه على نطس الأطباء . فكي يرفه عن نفسه ويتفرج من هذا الغمّ أخذ نفسه بقراءة طائفة من مؤلفات مشاهير كتاب شعبه . فبدأ بمطالعة الصفوة المختارة من الكتب والكتاب ، ثم أخذ يتفكه بقراءة الكتب السهلة المسلية ذات الموضوعات السارة ولكن كل ذلك لم يلهه عن غمه ويسله عما هو فيه من ضيق وانقباض . هناك نصحه رجاله بالقصد إلى أشهر حكيم في تلك الأصقاع، وفعل الملك ذلك وأجابه الحكيم:

— إن هناك طريقة وحيدة لشفائك أيها الملك : هي أن تتناول ورقة من نبتة سماوية ذات أزاهير عجيبة توجد الآن في غابات مملكتك . ثم إن الحكيم وصف للملك موقع الغابة وحدودها من مملكته ... وعرف

رجال الملك بعد عناء مكان النبتة ولكنهم أبصروا محلها فارغاً ، لأن فضول راع للخنازير قد اقتلعها من جذرها ، فذهبت طعمة للنار ، ولم يبق منها في أغنية الراعي إلا بقايا من رمادها تذروه الريح في الجهات الأربع ...

اختفت النبتة السماوية من الأرض . ولم يبق منها إلا وريقة ذاوية خاوية في نعش الفتاة الطاهرة التقية ، ولكن أحداً من الناس لا يعلم مكانها

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة كي يتأكد بعينه من اختفاء النبتة ، فقال حين شاهد مكانها خالياً :

— وإذن فهنا كانت النبتة الإلهية ؟ ! سيكون هذا المحل منذ الآن مكاناً قدسيا مباركا ...

وفعلاً أمر الملك بمكان النبتة ، فسور حوله عريشة من ذهب خالص ، وأقيم في تلك العريشة حراس أرصدت لنفقتهم الرواتب وذلك لحراسة هذا المحل المقدس ليل نهار ... وكتب أستاذ علم النبات الأشهر وصفاً مسهباً ضافي الذيول والحواشي عن حالة النبتة السماوية وماهيتها وخصائصها مظهراً الناس على خواص معجزة مميزة عجيبة حرم منها ويا للأسف أهل البلاد بفقدهم النبتة الإلهية من غابهم الأرضي !

موّه الملك كل صفحة من صفحات الكتاب بماء الذهب ، ورصّع دفتيه بنادر الجواهر وكريم اللآلئ ، فراج ذلك الكتاب القيم النادر ذلك العام بين أهل المملكة رواجاً لم يرجه كتاب قبله ولا بعده ..

أما الملك الحزين المنقبض الصدر فقد لزمه طول عمره غمه وحراجة صدره .. وأما حراس مكان النبتة السماوية فقد أمضهم الملل والضجر في عزلة الغابة الموحشة

(حلب) كمال الحريري

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً